عروقـا يبست فيها الخطايا ،
وحراما ان يلبي
لسرير العرس غصات الصبايا
امه الارض دمته
لمصير يدعـي من يصطفيه
ـ كنت اما ارضعت
ما حملت احشاؤها العذراء
من صلب ابيه
ـ أنت ام انت ام للرفـاق
ـ وحده ضيعته ، ضيعت وحدي
درة الكون
وما يجدي ويجدي ،
انت ام ، انت ام للرفاق
كـان يا ما كان ،
والتعزية الحرى لها في كبـدي
طعم النفـاق

وتتم القصيدة وحدة متكاملة مؤلفة من اصوات متناغمة لكنها كيان حي هو اكثر من مجموع الاجزاء التي تكونه . واستطاع الكيان الحي ان يصهر في ذاته ما قد يبدو متناقضا في الظاهر فكانت القصيدة عينية مطلقة وواقعية رمزية وسلما من المستويات المتدرجة . وغدت القصيدة بما هي تعبير عن رؤيا وتجربة تطهيرا لذات الشاعر وذات القارىء المتعمق الذي يعيد ـ بالقراءة الجدية ـ خلق ذاته في القصيدة وخلق القصيدة في ذاته . ويصل الشاعر والقارىء الى شاطىء اليقين بعد ابحار ضائع في ظلام الشك : ان انبعاث الانسان والحضارة مبدأ حتمي قائم في جوهر الذات الانسانية وخاصة تكسب الانسان جوهر انسانيته . ان البروق الحقيقية تحمل رعدا بالضرورة ولا بد أن يأتي المطر وتبعث الارض اليباب .

كانت قصائد حاوي الثلاث هذه اناشيد تؤلف ملحمة الانسان والحضارة : انها ملحمة الانسان العربي في صراعه مع رواسب التخلف التي ما زالت تتراكم في اعماقه وفي صراعه مع صور الانحطاط الحضاري المهيمنة في مجالات عديدة . ويسترجع خليل حاوي رحلة دانتي الكونية : فمن جحيم الشك المطلق وانعدام اليقين ، الى تدرج النفس في جبل المطهر حيث صفى الشاعر نفسه مما علق بها من ادران ويعيش متأرجحا بين شك ما برح قابضا عليه ويقين يبدو انه يلمحه من البعيد ، الى ظهور بياتريس ، المعشوقة الالهية ، التي تنير به الى فردوس الصحو واليقين حيث ترتاح النفس الى صفاء كلي . ويرتاح خليل حاوي الى رؤيا الانبعاث العربي : ان البطل الذي كان راقدا في موت بدا انه ابدي انتفض حيا وعاد ليواصل صراعه مع التنين الغاشم فيصرعه فتجري الينابيع وتعود الارض بكرا فتية بعد موات . ويعود الشاعر الى ممارسة وظيفته الاصلية الاولى في الحضارة الانسانية حين يكتشف بحدسه حاضر الحضارة ومستقبلها ، ويعود مجددا نبي القوم وكاهنهم وساحرهم وقائدهم السياسي والاجتماعي .